

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحكمة ضالة المؤمن

الْحَمْدُ لِلَّهِ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، سُبْحَانَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ مِنَ الْحَمْدِ وَأُنْتِي عَلَيْهِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، سَعِدَ مَنْ آتَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ، فَجَعَلَهُ مِنْ أَوْلِي الْأَلْبَابِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرٌ مِنْ وَضَعَ الْأُمُورَ فِي نِصَابِهَا، وَأَعْطَى الْحُقُوقَ أَصْحَابَهَا، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ الْحِكْمَةَ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، أَنِّي وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا، وَفِي تَعْرِيفِ الْحِكْمَةِ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ قَرِيبٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَمِنْ أَحْسَنِ هَذِهِ التَّعْرِيفَاتِ قَوْلُهُمْ: (الْحِكْمَةُ وَضْعُ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ)، فَمَنْ وَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي نِصَابِهِ حَازَ الْحِكْمَةَ فِي أَجَلٍ مَعَانِيهَا وَأَفْضَلِ مَرَامِيهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١)، إِنَّ أَصْحَابَ الْعُقُولِ الرَّاجِحَةِ، وَالْأَفْكَارِ الْوَاضِحَةِ هُمْ أَهْلُ الْحِكْمَةِ وَأَصْحَابُهَا، وَمُرِيدُهَا وَطَلَّابُهَا، فَمِنَ الْعَقْلِ السَّلِيمِ وَالْفِكْرِ الْمُسْتَقِيمِ طَلَبُ الْحِكْمَةِ، لِمَا فِيهَا مِنْ فَوَائِدِ جَمَّةٍ، وَثَمَرَاتٍ مُهِمَّةٍ، تَعُودُ عَلَى الْفَرْدِ وَالْأُمَّةِ، وَمَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَتَّقِ اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلْيَتَفَكَّرْ فِي خَلْقِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ؛ لِيَجِدَ كُلَّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ مَوْضُوعًا فِي مَوْضِعِهِ الْمُنَاسِبِ لَهُ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ:

(١) سورة البقرة / ٢٦٩.

﴿وَأَيُّ لَهْمٍ آيَلٌ نَسَلَخَ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ، وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ، وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ، لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيَلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١)، وَإِذَا كَانَ الْكَوْنُ - وَهُوَ الْكِتَابُ الْإِلَهِيُّ الْمَنْظُورُ - يَدُلُّنَا عَلَىٰ أَنَّ الْحِكْمَةَ وَضَعُ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ؛ فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ الْمَسْطُورَ - وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ - يَدُلُّنَا عَلَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا، تَأَمَّلُوا - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - كِتَابَ اللَّهِ الْمَجِيدِ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٢)، كَيْفَ جَاءَتْ بَعْضُ آيَاتِهِ طَوِيلَةً وَبَعْضُهَا قَصِيرَةً؟ ذَلِكَ لِأَنَّ هُنَاكَ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ مَا يُنَاسِبُهُ الطُّولُ، وَمِنْهَا مَا يُنَاسِبُهُ الْقَصْرُ، فَعِنْدَمَا تَتَحَدَّثُ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ عَنِ التَّشْرِيعَاتِ وَالْأَحْكَامِ تَأْتِي طَوِيلَةً، لِأَنَّ الطُّولَ يُنَاسِبُهَا، فَآيَةُ الدِّينِ مَثَلًا أَطْوَلَ آيَةَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، احْتَضَنَتْهَا أَطْوَلَ سُورَةٍ فِيهِ، وَمَعَ ذَلِكَ جَاءَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ فِيهَا فِي مَوْضِعِهَا، لِتَتَجَلَّى فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الدَّقَّةُ، كَيْ يَعْرِفَ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَالَّذِينَ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ أَخْذٍ وَعَطَاءٍ، أَوْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ، وَقَضَاءٍ وَاقْتِضَاءٍ، فِيهِ مُشَاحَّةٌ وَرَبَّمَا خِدَاعٌ، فَلَا بُدَّ مِنَ التَّوْضِيحِ التَّامِّ، حَتَّىٰ لَا يَحْدُثَ لَبْسٌ أَوْ إِبْهَامٌ، وَأَكْثَرُ مَا طَرَحَتْهُ الْآيَاتُ الْقَصِيرَةُ مِنْ مَوْضُوعَاتٍ لَا تَتَنَاسَبُ مَعَهُ إِلَّا الْآيَاتُ الْقَصِيرَةُ، كَذِكْرِ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَالنَّارِ وَجَحِيمِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَتَنَاسَبُ مَعَهُ إِلَّا ذَلِكَ، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْقَائِلُ: ﴿كَتَبْنَا أَحْكَامَ آيَاتِنَا ثُمَّ فَضَّلْنَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾^(٣).

عباد الله:

إِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْأُمُورِ تَجَنُّونَ مِنْهَا أَعْظَمَ النَّتَاجِ وَأَطْيَبَ الثَّمَارِ إِذَا وَضَعْتُمُوهَا فِي مَكَانِهَا الصَّحِيحِ؛ لِأَنَّكُمْ بِذَلِكَ تَحْرِيْتُمْ الْحِكْمَةَ وَحَقَّقْتُمُوهَا، فَإِنْ بَعُدْتُمْ عَنِ الْحِكْمَةِ وَوَضَعْتُمُوهَا فِي غَيْرِ أَمْكَانِهَا الْمُنَاسِبَةِ وَالسَّلِيمَةِ؛ جَاءَتْ مَبْتُورَةً عَقِيمَةً،

(١) سورة يس / ٣٧-٤٠ .

(٢) سورة فصلت / ٤٢ .

(٣) سورة هود / ١ .

فَالكَلِمَةُ إِذَا وُضِعَتْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا عَيَّبَتْ وَعَيَّبَ صَاحِبُهَا، لِذَا يَلْزِمُ المَرءَ قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ بِالكَلِمَةِ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهَا، وَيُفَكِّرَ فِي دَوَاعِيهَا، فَإِنْ وَجَدَ لَهَا دَاعِيًا فَكَّرَ مَرَّةً أُخْرَى: هَلْ هَذَا الوَقْتُ مُنَاسِبٌ لِلتَّلْفِظِ بِهَا؟ فَإِنْ وَجَدَهُ مُنَاسِبًا أَقْدَمَ، وَإِنْ وَجَدَهُ غَيْرَ مُنَاسِبٍ أَمْسَكَ وَأَحْجَمَ، وَالعَاقِلُ حَقًّا هُوَ الَّذِي يُسَيِّطِرُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَا يُرْخِي لَهُ الزَّمَامَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَنْ، بَلْ يَتَكَلَّمُ عِنْدَ الحَاجَةِ وَيَتَكَلَّمُ بِمِقْدَارٍ، فَخِلَافَ ذَلِكَ هَذَرٌ وَلَغْوٌ ضَارٌّ، وَالبُعْدُ عَنِ اللُّغْوِ مِنْ صِفَاتِ المُؤْمِنِينَ كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ المُبِينِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللُّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^(١)، وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللُّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الجَاهِلِينَ﴾^(٢)، وَمِنْ وَضْعِ الكَلَامِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ التَّحَدُّثُ فِي وَقْتٍ يَتَحَدَّثُ فِيهِ آخَرٌ، وَبَعْضُ المَجَالِسِ لَا يَخْلُو مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ تَصَرُّفٌ يُحِيلُ المَجْلِسَ إِلَى صَخْبٍ، إِذْ تَخْتَلِطُ الأَصْوَاتُ؛ فَلَا تُفْهَمُ الأَلْفَافُ وَلَا تُسْمَعُ الكَلِمَاتُ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَدْفَعُهُ التَّعَالِي وَالكِبَرُ إِلَى أَنْ يَقُولَ كَلَامًا لَا يَقْصِدُ مِنْ وَرَائِهِ إِحْقَاقَ حَقٍّ أَوْ إِطْالَ بَاطِلٍ، بَلْ مَقْصِدُهُ المُبَاهَاةُ وَالجِدَالُ، وَقَدْ يَحْدُثُ بِسَبَبِ ذَلِكَ عِدَاءٌ، وَبَغْضَاءٌ وَشَحْنَاءٌ، وَالإِسْلَامُ يُقَلُّ الأَبْوَابَ أَمَامَ كُلِّ مَظْهَرٍ يُوهِنُ العِلَاقَاتِ وَيُضْعِفُ الصَّلَاتِ. أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

مِنْ مَجَالَاتِ الحِكْمَةِ المُهِمَّةِ الحِكْمَةُ فِي الدَّعْوَةِ وَالإِرْشَادِ وَنُصْحِ العِبَادِ، وَهَذَا مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾^(٣)، وَلَقَدْ كَانَ مِنْ حِكْمَةِ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَخْتَارَ المَوْعِظَةَ لِكُلِّ مُنَاسِبَةٍ، وَلَا يُطِيلَ الحَدِيثَ مَخَافَةَ السَّامَةِ، وَمِنْ الحِكْمَةِ البُعْدُ عَنِ العُنْفِ فِي الكَلَامِ وَالشَّدَّةِ فِي العِبَارَةِ، حَتَّى تُصْبِحَ المَوْعِظَةُ هِدَايَةً وَمَنَارَةً، وَقَدْ وَرَدَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَوْلُهُ: ((يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا

(١) سورة المؤمنون / ١-٣ .

(٢) سورة القصص / ٥٥ .

(٣) سورة النحل / ١٢٥ .

تَفَرُّوا))، وَلَتَكُنِ الْمَوْعِظَةُ عَامَّةً مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ أَحَدٍ، فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا))، وَمِنْ الْحِكْمَةِ أَنْ يَتْرَكَ الْمُسْلِمُ الْأَمْرَ الَّذِي لَا ضَرَرَ فِي تَرْكِهِ وَلَا إِثْمَ اتِّقَاءٍ لِلْفِتْنَةِ، فَقَدْ تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ هَدْمَ الْكَعْبَةِ وَلَمْ يُعِدْ بِنَاءَهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اجْتِنَابًا لِلْفِتْنَةِ؛ حَيْثُ كَانَ الْقَوْمُ حَدِيثِي عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي شَيْءٍ التَّضَخِيمُ وَالتَّهْوِيلُ لِلشَّيْءِ التَّافِهِ الْقَلِيلِ، بَلْ إِنَّ ذَلِكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الشَّيْطَانِ، فَهُوَ يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ لِيَهْوَلُوا الشَّيْءَ التَّافِهَ وَيُضَخِّمُوا الْأَمْرَ، وَيَتْرُكُوا لَهُ الْمَجَالَ لِيَنْفَخَ فِي الْجَمْرِ، وَحِينَ يَتِمَادَى النَّاسُ فِي ذَلِكَ تَنْتَشِرُ الْإِشَاعَاتُ، فَإِذَا الْأَمْرُ الْهَيِّنُ وَالشَّيْءُ الْيَسِيرُ يَقَعُ بِسَبَبِهِ الضَّرَرُ الْكَثِيرُ، وَكَمْ مِنْ إِشَاعَاتٍ كَاذِبَةٍ وَأَخْبَارٍ غَيْرِ صَائِبَةٍ أُوذِيَ بِسَبَبِهَا كَثِيرُونَ، وَوَزُرُ ذَلِكَ يَتَحَمَّلُهُ هَوْلَاءُ الْمُفْتَرُونَ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(١)، أَلَا فَلْيَتَّبِعْ هَوْلَاءُ إِلَى رُشْدِهِمْ؛ فَيَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِي اقْتَرَفُوهُ زُورٌ وَبُهْتَانٌ، يَتَنَاقِضُ تَمَامًا مَعَ الْإِيمَانِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(٢)، فَعَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - أَنْ تَتَّبِعُوا حَقِيقَةَ الْخَبَرِ قَبْلَ إِذَاعَتِهِ، وَنَقْلِهِ وَإِشَاعَتِهِ، حَتَّى تُوَضَعَ الْأُمُورُ فِي نِصَابِهَا، فَالْتَّيَّبْتُ مِنَ الْأَخْبَارِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ الْأَبْرَارِ، فَقَدْ نَادَاكُمْ اللَّهُ بِصِفَةِ الْإِيمَانِ فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٣).

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

(١) سورة النور / ١٥ .

(٢) سورة الأحزاب / ٨٥ .

(٣) سورة الحجرات / ٦ .

مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْزَلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ، ذَلِكَ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ أَوْ يَضَعُهُ
 غَيْرُهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي لَا يُنَاسِبُ قُدْرَاتِهِ، وَلَا يُلَائِمُ خِبْرَاتِهِ، وَهَذَا إِنْ حَدَثَ يُؤَدِّي
 بِالضَّرُورَةِ إِلَى اضْطِرَابٍ وَخَلَلٍ، وَإِلَى عَدَمِ الْإِجَادَةِ فِي الْعَمَلِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا وَضِعَ
 الْإِنْسَانُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يُنَاسِبُ قُدْرَاتِهِ وَخِبْرَاتِهِ، فَإِنَّهُ يَسْتَطِيعُ بِمَا لَدَيْهِ مِنْ خِبْرَةٍ وَمَا
 عِنْدَهُ مِنْ مَعْرِفَةٍ أَنْ يُنْجِزَ الْعَمَلَ الْكَثِيرَ بِسُهُولَةٍ وَتَيْسِيرٍ، وَفِي وَقْتٍ قَصِيرٍ، وَبِذَلِكَ لَا
 تَضِيعُ الْأَوْقَاتُ سُدىً وَلَا تَتْرَاكُمُ الْأَعْمَالُ، بِسَبَبِ سُوءِ الْخِبْرَةِ وَالْإِهْمَالِ. وَعِنْدَمَا
 اخْتَارَتِ ابْنَةُ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِيُقِيمَ بِالْعَمَلِ أَجِيرًا عِنْدَ أَبِيهَا
 ذَكَرَتْ مَوْهَلَاتِهِ الَّتِي تَوَهَّلَهُ لِإِدَارَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي سَيُقِيمُ بِهَا، فَقَالَتْ كَمَا حَكَى الْقُرْآنُ
 الْكَرِيمُ: ﴿يَتَابَتِ أَسْتَجِرُهُ إِبْرَاهِيمَ خَيْرٌ مِنْ أَسْتَجِرْتَ أَلْقَوِي الْأَمِينَ﴾^(١)، وَالْقُوَّةُ لَا تَعْنِي الْقُوَّةَ
 الْجَسَدِيَّةَ فَقَطْ، بَلْ تَشْمَلُهَا وَتَشْمَلُ الْخِبْرَةَ مَعَ الْأَمَانَةِ، وَعِنْدَمَا وَجَدَ يُوسُفُ - عَلَيْهِ
 السَّلَامُ - فِي نَفْسِهِ الْقُدْرَةَ عَلَى أَنْ يَتَوَلَّى إِدَارَةَ الْعَمَلِ فِي ظُرُوفٍ صَعْبَةٍ تَمُرُّ بِهَا
 الْبِلَادُ، وَيَمُرُّ بِهَا الْاِقْتِصَادُ، عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْمَلِكِ لِيُسَهِّمَ بِخِبْرَتِهِ، وَعِلْمِهِ وَأَمَانَتِهِ،
 فِي تَخْطِي الْأَزْمَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْمُتَوَقَّعَةِ، وَقَدْ حَدَّثَ ذَلِكَ فِعْلًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
 لِسَانِ يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ﴾^(٢)، وَلَقَدْ
 كَانَ الرَّسُولُ ﷺ حَرِيصًا عَلَى الْأَيْمَانِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ عَمَلًا يَفُوقُ طَاقَتَهُ، وَلَا يُنَاسِبُ
 خِبْرَتَهُ، حَتَّى إِنْ طَلَبَ هُوَ ذَلِكَ، فَعَنَ أَبِي ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قُلْتُ: يَا
 رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمَلُنِي؟ - أَيُّ هَلَّا وَكَلَّتْ إِلَيَّ عَمَلًا أَقُومُ بِهِ - قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ
 عَلَى مَنْكَبِي ثُمَّ قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ
 وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَأَنْزِلُوا كُلَّ وَاحِدٍ مَنَزِلَتَهُ، وَأَعْطُوا كُلَّ إِنْسَانٍ مَكَانَتَهُ،
 وَاعْلَمُوا أَنَّ وَضْعَ الرَّجُلِ الْمُنَاسِبِ فِي مَكَانِهِ الْمُنَاسِبِ تَصَرُّفٌ حَضَارِيٌّ وَتَعَامُلٌ

(١) سورة القصص / ٢٦ .

(٢) سورة يوسف / ٥٥ .

عَادِلٌ، يَضْمَنُ لِصَاحِبِهِ الْخَيْرَ الْعَاجِلَ وَالْثَوَابَ الْآجِلَ، وَيَجْعَلُ الْمُجْتَمَعَ آمِنًا مِنَ الْعِثَارِ، لِسَلَامَتِهِ فِي اتِّخَاذِ الْقَرَارِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يُغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ،
وَأَدْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ كَانَ بِالْحِكْمَةِ مُتَحَلِّيًا، وَلِلرِّدَائِلِ قَالِيًا،
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ، أَبَانَ طَرِيقَ الْحِكْمَةِ بِسُنَّتِهِ، وَأَرْشَدَنَا إِلَى اتِّبَاعِ نَهْجِهِ وَطَرِيقَتِهِ، ﷺ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ مِنْ أَبْرَزِ مَجَالَاتِ الْحِكْمَةِ الْإِدَارِيَّةِ، وَهُوَ أَمْرٌ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ شَرِكَةٌ أَوْ
مُؤَسَّسَةٌ أَوْ وَزَارَةٌ، وَمِنْ الْحِكْمَةِ الْإِدَارِيَّةِ أَنْ يُعْنَى الْمَسْئُولُ بِالْعَامِلِينَ تَحْتَ إِدَارَتِهِ،
فَيَسْتَشْعِرُ أَنَّهُ يَتَعَامَلُ مَعَ بَشَرٍ مِثْلِهِ، وَأَنَّ لَهُمْ مَشَاعِرَ يَجِبُ أَنْ تَرَاعَى، لِيَكُونُوا جَمِيعًا
مَوْضِعَ مَحَبَّةٍ وَإِكْرَامٍ، وَتَقْدِيرٍ وَاحْتِرَامٍ، وَمِنْ الْحِكْمَةِ مُرَاعَاةُ قُدْرَاتِ الْعَامِلِينَ؛ فَلَا
يُكَلِّفُ الْعَامِلُ مَا يَشِقُّ عَلَيْهِ، لِيَبْقَى قَادِرًا عَلَى الْإِهْتِمَامِ بِعَلَاقَاتِهِ، وَصَدَاقَاتِهِ
وَنَشَاطَاتِهِ؛ انْطِلَاقًا مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: ((إِنَّ لِحَدِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ
حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا))، وَعَلَى الْمُدِيرِ أَنْ يُعْبِرَ عَنْ
شُكْرِهِ وَامْتِنَانِهِ تَجَاهَ مَنْ أَحْسَنَ تَأْدِيَةَ عَمَلِهِ، وَلَكُمْ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - قُدْوَةٌ فِي ذِي
الْقَرْنَيْنِ الَّذِي حَكَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ قَوْلَهُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ

لَهُ مِنْ أَمْرٍ نَاسِرًا﴾^(١)، إِنَّ الْإِحْتِرَامَ يَجْلِبُ الْإِحْتِرَامَ، فَإِنَّ أَخْلَصَ مُدِيرِ الْعَمَلِ لِلْعَامِلِ
وَسَأَلَهُ عَنِ احْتِيَاجَاتِهِ، وَأَعَانَهُ عَلَى الْاسْتِقْرَارِ فِي حَيَاتِهِ؛ بَدَلَ الْعَامِلِ كُلِّ مَجْهُودٍ،

لِلْوُصُولِ إِلَى الْهَدَفِ الْمَنْشُودِ، وَلَقَدْ كَانَ مِنْ حِكْمَةِ الرَّسُولِ ﷺ مُشَارَكَتُهُ لِأَصْحَابِهِ فِي الْعَمَلِ كَمَا حَدَّثَ مِنْهُ ﷺ يَوْمَ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ وَحَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَمُشَارَكَتُهُ أَصْحَابَهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَلَعَلَّكُمْ تَذَكُرُونَ - عِبَادَ اللَّهِ - يَوْمَ أَرَادَ الصَّحَابَةُ صُنْعَ الطَّعَامِ وَوَزَعُوا الْأَعْمَالَ، فَاخْتَارَ الرَّسُولُ ﷺ جَمْعَ الْحَطَبِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

عَلَى الْمُسْلِمِ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ حَكِيمًا فِي زِيَارَتِهِ، فَيَخْتَارَ لَهَا الْوَقْتَ الْمُنَاسِبَ وَالْمَكَانَ الْمُنَاسِبَ، وَلَتَكُنْ زِيَارَتُهُ أَيْضًا بِالْقَدْرِ الْمُنَاسِبِ، فَلَا زِيَارَةَ مَثَلًا فِي أَوْقَاتِ الْعَمَلِ؛ لِأَنَّ لِدَلِكْ أَثَارًا ضَارَةً مِنْ حَيْثُ تَعْطِيلُ الْأَعْمَالِ وَشُغْلُ الْقَائِمِينَ بِهَا، وَفِي هَذَا مَا فِيهِ مِنْ أَضْرَارٍ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: ((لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ))، وَلِلزِّيَارَةِ فِي الْبُيُوتِ مَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ مِنْ أَوْقَاتٍ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الزِّيَارَةُ فِي أَوْقَاتِ الرَّاحَةِ وَالِاسْتِجْمَامِ، كَوَقْتِ الْقِيلُولَةِ أَوْ وَقْتِ مُتَأَخَّرِ مِنَ اللَّيْلِ، فَلِلنَّاسِ فِي بُيُوتِهِمْ أَسْرَارٌ فِي بَعْضِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ، وَكَمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الزِّيَارَةُ مُنَاسِبَةً زَمَانًا وَمَكَانًا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مُنَاسِبَةً حَالًا، فزِيَارَةُ السَّلِيمِ غَيْرُ زِيَارَةِ الْمَرِيضِ، فَمِنْ آدَابِ زِيَارَةِ الْمَرِيضِ قِصْرُهَا، وَزِيَارَةُ السَّلِيمِ الَّذِي يُحِبُّ الزَّائِرَ وَيَأْنَسُ بِهِ غَيْرُ زِيَارَةِ غَيْرِهِ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ: ((زُرْ غَيْبًا؛ تَزِدْ حُبًّا)).

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاحْرِصُوا عَلَى الْحِكْمَةِ فِي كُلِّ شَأْنِكُمْ، وَمَعَ جَمِيعِ مَنْ حَوْلَكُمْ؛ يُصْلِحِ اللَّهُ أَعْمَالَكُمْ، وَيُجْزِلَ لَكُمْ أَجُورَكُمْ.

هَذَا وَصَلُوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى

سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ،
وَأَرْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ
أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ
فِيْنَا وَلَا مَعْنَا شَفِيًّا وَلَا مَحْرُومًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعِفَافَ وَالْغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا
صَالِحًا زَكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا
طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ،
وَأكْسِرْ شوْكَ الظَّالِمِينَ، وَآكُتِبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.
اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمُدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ
خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
رَبَّنَا لَا تَزُغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.